



## الجريمة المبكرة .. اجبار أم اختيار..؟

# مراهقون خلف الأسوار!

### خاص/ الأسرة

الانحراف... قد يبدأ بسرقة تفاحة أو برتقالة من متجر، فكما يقال: "معلم النار من مستصغر الشرر" .. وقد أثبتت الدراسات الاجتماعية أن أربعة من كل خمسة مراهقين ارتكبوا مثل هذا الفعل يوماً ما، في محاولة منهم لإثبات الخشونة والعدوانية التي تؤكد رجولتهم.. وقد يتوقف الأمر عند ذلك الحد، أو قد يتطور الانحراف خاصة عندما ينشأ المراهق في أسرة تعاني من التفكك وضعف القيم الاجتماعية وغياب الأخلاق ليصبح الشاب عضواً في مجموعة فاسدة واليهض قد ينشأ داخل أسر تبدو متماسكة من الخارج ولكنها في الحقيقة تفتقد لأبسط الوسائل لرعاية وترقية الأبناء، ويتزايد الانحراف - بعد ذلك - ويتطور إلى السرقة بالأكراه أو توزيع المخدرات أو الإغصاب.

أما الانحراف لدى الفتيات المراهقات فله طابع مختلف.. فالنقص الناقص قد يولد عند الفتاة رغبة في الهرب من أسرتها التي تعاني فيها من القسوة والحرمان العاطفي.. وبلي ذلك بطبيعة الحال الانحراف الجنسي. والفتاة - غالباً - لا تفضل العدوان المباشر على المجتمع مثل الفتيان، بل تميل إلى نوع من الانتقام غير المباشر من ذويها باقلاقهم حول سلوكها الجنسي المنحرف.. أو قد تنجس إلى السرقة حتى ولو كان ما تسرقه عديم القيمة بالنسبة لها - كالأقلام مثلاً أو أدوات الماكياج، ومثل هؤلاء المراهقات يجب عرضهن على طبيب نفسي.. فما أسباب انحراف المراهقين؟ وكيف نستطيع الحد من تلك الظاهرة؟ ولكن قبل أن نحكم عليهم لابد وأن نستمع إليهم:

بدابة يقول عمرو سعيد - ١٨ عاماً: نشأت في أسرة عريقة لأب ذي مركز مرموق، وأم من سيدات المجتمع لم تضن علي أسرتي بمطلب واحد، ولكن أصدقاء السوء وأنا في السنة النهائية بالمرحلة الثانوية انتزعوا من أعماقي كل القيم النبيلة، ولكي أكون أكثر هؤلاء الأصدقاء مالا، وأكثرهم تفوقاً لجأت إلى السرقة، وعلى اثر مشادة بيني وبين زميل مدين لي مبلغ من المال ماطلني في رده، سرقت سيارته واستخدمتها طمعاً للفتيات المراهقات والسيدات المتصابات، فكنت أخدرهن وأسلمهن مجوهراتهن، ثم تطورت وسائل الإغراء نحو الانحراف إلى تعاطي المخدرات، ثم السطو على المحلات لتغطية نفقاتي التي بلغت الفين من الجنيهات يومياً على المخدرات، ليكون مضيري خلف القضبان وأنا مازلت في هذه السن الصغيرة.

### ثمن الجريمة

أما إيهاب شاكر - ١٩ عاماً فيقول: تفتحت عيني على الميزان والمطواة وتقطيع المخدرات، وتنفست الدخان الأزرق وأنا في المهدي، ودرجت على مطاردة البهوليس لأبي، فانحرفت إلى هذه المهنة وأنا في المرحلة الإعدادية حيث كنت واسطة بين أبي وتاجر الجملة وتطورت الأمور، فاصبحت أتعامل مع الزبائن وتزوجت عنوة إلى أن جاء اليوم الذي أدفع فيه من هذه الجريمة على جانب آخر فهناك العشرات من الحوادث التي نطالع أخبارها يومياً ومنها ما قام به أبن عمي - ١٧ عاماً - والذي أغلق على شقيقته الصغرى -

١٢ عاماً - باب غرفتها، وانها على ضربة بجنزير دراجة دون رحمة، وأحدث بها إصابات بالغة، استعدت إجراء جراحات متعددة في أنحاء متفرقة من جسدها، ويقائنها في المستشفى أكثر من أسبوعين، وذلك عقاباً لها لتأخرها في الشارع أثناء شرائها علبة سجائر له.

● أما (س.ع) - ٢٠ عاماً - فقد قبضت عليها الشرطة، ومعها كميات كبيرة من المخدرات والأموال، واتضح أنها الابنة الوحيدة لأحد تجار المخدرات المتوفين، وقد قررت أكمل مشوار والدها الذي لم ينجب أولاداً.

### إشارة مرضية

وبحثاً عن الأسباب التي تدفع هؤلاء الصغار للانحراف إلى عالم الجريمة يقول د/ فكري عبدالعزيز - عضو الجمعية الدولية للطب النفسي:

- بعض الآباء يسيئون التعبير عن مشاعرهم تجاه أبنائهم المراهقين، مما يوقع الأبناء في وهم نفسي بتدني مشاعر الآباء تجاههم وعدم رضاهم الدائم عن تصرفاتهم، وذلك يبعث على الشعور بالاضطهاد وعدم الأمان، لذا فالأبناء يلجأون إلى تفريغ هذه الأوهام المكبوتة في نفوسهم، بالسلوك العدواني والجريمة، وهي إشارة مرضية تستوجب التعجيل بالعلاج والعرض على أطباء النفس إذا وصل التدهور إلى درجة لا يمكن السكوت عليها، أو بالتقويم الأسري

## الظروف المحيطة بالمراهق تدفع سلوكه نحو الانحراف

في بداية ظهور بوادر العدوانية والميل غير السوية على الأبناء عن طريق المكافأة على فعل الصواب والعقاب على ارتكاب السلوك الضار، ويفضل العقاب المعنوي فهو يحافظ على مشاعر المراهق ويتوافق مع مرحلته الحرجة واحساسه بذاته باعتباره رجلاً تخطى مرحلة الطفولة والعقاب بالضرب، مع محاولة الابتعاد عن التقليل من شأنه، لأن ذلك يدفعه لآليات ذاته والتدليل على تمكنه من فرض كيانه وعدم الخوف من نقد المحيطين أو عقاب المجتمع، أيضاً هناك بعض المراهقين لا تمثل أفعالهم درجة بالغة من الخطورة مثل أعمال الشغب في المدارس أو المعارك الدائرة بين بعضهم البعض، ورغم انتهاء بعض هذه المعارك بخسائر ربما تمتد للأرواح لكنها لا تمثل خطورة ولا تدل على امتلاك نوايا تدميرية، وهي في أغلبها لا شعورية في لفت نظر الآباء، واستقطاب اهتمامهم وعنايتهم بأي وسيلة والأبناء لا يفكرون فيما إذا كان الفعل خطراً من عدمه، وإنما منهم الأول استعادة حب وانتماء أسرهم التي ابتعدت عنهم لأي من الأسباب.

ويضيف: والأسلم أن يسعى الآباء كلما أتاحت الفرصة لتأكيد محبتهم لأبنائهم وتقيلهم لأفعالهم وتصرفاتهم مهما بلغ خطاهم، فالأسرة هي الحصن الدافئ الذي لا يتأثر بأقصى الانتهاكات ومن شأن هذا السلوك أن يمنح الابن الاطمئنان النفسي ويدفعه لانتهاج سلوك صائب.

ويؤكد د/ فكري: أن الظروف المحيطة بالمراهق تؤثر في توجيه سلوكه نحو اتجاهات بعينها، والدراسات الحديثة أثبتت تأثير عوامل البيئة المختلفة على مزاج الإنسان من تلوّن وحرارة وضوضاء وطبيعة مكان السكن حيث أجريت تجربة على مجموعة من الفئران وأخضعت للغيث داخل صناديق متباينة الأحجام فلوخط تعارك فئران الصناديق الضيقة وتكررت حالتهم المزاجية حتى وصلت لدرجة الإثارة، بالإضافة للاختلافات الواضحة للصفات النفسية بين سكان المناطق الحارة، وأقرانهم النفسية بين سكان المناطق الباردة فكل منهم له مناهج تفكير وسرعة استجابة متباينة لظروف الحياة.

### أمراض نفسية

أما د/ مجدي محمد الدسوقي - مدرس الصحة النفسية بتربية المتوفية بمصر فيقول:

- يصاب بعض المراهقين بالأمراض النفسية المختلفة كالإحباط والاكتئاب والبارانويا التخيلية، فإذا أهمل في العلاج فإنها تتحول إلى أمراض متصلة لصيقة بالشخص فيما بعد، كما أنها تحرك نحو إصدار سلوكيات إجرامية، واتضح أن المرضى النفسيين أكثر نزوعاً للجريمة عن غيرهم من المتمتعين بنفسية سوية وعموماً جنوح المراهقين للجريمة هو مجرد عملية تفريغ للغضب الداخلي، والمشاعر السلبية تجاه المحيطين حتى يتخلص من الأوهام التي تعذبه وتسبب له الشعور بالصراع

النفسى ودائماً الجريمة يسبقها ما يفصح عنها، كالميل للعنف والتباعد بشكل دائم عن الحد وادمان للمخدرات والمراهق يقع فريسة للصراع النفسي نتيجة العلاقة غير المتوازنة التي تسود الأسرة، وتزيد من التوتر بين أفرادها، ويجب ألا ننسى أهمية المثل الأعلى في حياة الأبناء ومساهمتهم في تشكيل سلوكهم فالابن المجرم المطارد أو السجين الملقى خلف الأسوار تشبّع بالناخ العام للحياة وانتهج نفس التوجهات التي شب عليها، والمعاناة من الفقر تدفع بعض المراهقين للسرقة وأحياناً يتطور الأمر إلى القتل والمعض منهم بجدها وسبيلة لتعويض ما حرمت منه الحياة من رفاهية واستمتاع بملذات الحياة، أما البعض الآخر فإنهم ينتقمون من المجتمع باعتباره مسؤولاً عن ظروفهم القاسية ونفوسهم المريضة تصور لهم أضرار المحيطين للنوايا السيئة التي يبغون من وراءها إيذاء هؤلاء المراهقين، وغالباً ما تكون هذه المشاعر ناتجة عن الإحساس بالنقص بعد مقارنة نفسه بالآخرين.

ويؤكد د/ مجدي الدسوقي: أن التنشئة السليمة هي جواز المرور الآمن من سن المراهقة بدون التعرض لأي مشاكل نفسية أو سلوكية لذلك يجب على الآباء إعلاء قيم الحب والخير في نفوس أبنائهم منذ الطفولة وملاحظة أفعالهم بصورة دورية للابقاء على الصالح منها ومحاولة تقويم الخاطئ، علاوة على ضرورة زرع الثقة في نفوس الأبناء، تجاه أنفسهم والمجتمع حتى لا يدفعهم الشعور بالنقص للانتقام أو الخوف من الناس للأنزواء والعزلة وبالتالي ترسب النظرة العدوانية في نفوسهم وتترجم الأفعال إجرامية ضد المجتمع والتأكد على احتواء الحياة للمتناقضات فهناك البشر الطيبون وهناك الأشرار مما يربح ذهن المراهق ويجنبه الصدمات النفسية التي تدفعه في معظم الأحيان للسلوك المريض.

### اجرام بالوراثة

وعن دور الوراثة في اكساب المراهقين الصفة الإجرامية يقول د/ سيد صبحي - أستاذ الصحة النفسية:

- الأبحاث الخاصة بدراسة الوراثة والجريمة قديمة نسبياً وأعني التي أقرت وجود علاقة بينهما، وثبت أن الشخص العادي يحمل كروموسوماً (حامل الصفات الوراثية) X.Y أما الأشخاص الذين يحملون في تركيبهم الطبيعية النزوع للجريمة فقد لوحظ أنهم يحملون الكروموسومات من نوعية X.Y.Y.Y واستنتج بعدها، أن الحاملين لهذا الثابت الوراثي لديهم ميل فطري للعنف والتدمير، ووضع بعض العلماء مثل لومبروزو الإيطالي بعض المحددات الشكلية الدالة على مكونات نفوس هؤلاء القوم، فهم ضخام الحجة، يتمتعون بطول ملحوظ إضافة لامتلاكهم شكلاً فريداً في تكوين عظام الجمجمة حيث تمتاز وجوههم بالاستطالة، ولكن الدراسات الحديثة جاءت لتناقض هذه النظرية وذلك عد اكتشاف أناس يتحلون بظبط الصفات وهدهد النفس، وتنطبق عليهم نفس المواصفات الشكلية ويحملون كروموسوم X.Y.Y.Y واتجهت الأبحاث وجهة أخرى بعد أن تاكدت من أن السبب في السلوك الإجرامي هو انتصار "الأ شعور" داخل



## التلفزيون والسينما والاستعداد النفسي .. وراء معظم الجرائم

عن مكونات المراهقين وفرصة كي تعلم الأسرة بما يدور في عقولهم لمناقشتهم والتقرب منهم، علاوة على كونه تحذيراً مسبقاً لأي سلوك إجرامي، يمكن للأبناء السيطرة عليه قبل تفاقمه كما أن المراهقين في حاجة لتوظيف طاقاتهم فيما يعود بالنفع عليهم، بدلاً من التنفيس عنها في الجريمة.

### سياسات متضاربة

أما د/ جمال مجدي حسنين - أستاذ علم الاجتماع بالقاهرة يقول:

- المجتمع العربي تعرض خلال فترة زمنية قصيرة لا تتجاوز ثلاثين عاماً لسياسات اجتماعية متضاربة وهذه السياسات أثرت على البناء الاجتماعي فأصبحت دون هوية اجتماعية وهذا انعكس على أكبر الفئات الاجتماعية وهي فئة الشباب التي تمثل ٤٠٪ من سكان الوطن العربي أقل من ٢١ سنة فقدت الشباب النموذج الاجتماعي والقيم والمثل التي يجب أن تتبع مشيراً إلى أن المجتمع العربي خلال هذه الفترة كلها كان يمر بعملية انتقال بمعنى أنه كان مجتمعاً زراعياً قطعياً متخلفاً بدأت فيه بوادر التحول لمجتمع صناعي رأسمالي في العشرينيات ثم زاد هذا التحول بعد الثورة وتحول المجتمع بعد ذلك إلى نوع من التفكك والتسيب العام لجميع نواحي الحياة وانعكس هذا على قيم الشباب فأصبحت الذات بدلاً من الوطن، وحلم الفرد بدلاً من المشروع القومي وتوقفت التنمية الصناعية لفترة تزيد على عشرين عاماً فأدى هذا إلى ظهور مشكلة البطالة التي تعاني منها أساساً فئة الشباب وازدادت الهجرة من الريف للمدن وارتفعت طموحات الشباب فأهتز الشباب بين الماضي والحاضر، بين قيم المجتمع الزراعي والمجتمع الصناعي، بين المرأة والرجل وهنا ظهرت الجريمة كنتاج طبيعي لهذه الأزمة العامة.

ويشير د/ جمال: إلى أن أجهزة الإعلام لها دوراً سلبياً في هذه القضية، بحكم أن النخبة المسيطرة عليها نشأت في ظل مجموعة من القيم المتضاربة، حيث أن أجهزة الإعلام اعتمدت على أسلوب مميز في إبراز الخبر المثير، بصرف النظر عن مدى تأثيره وهذه العناصر - أقصد أجهزة الإعلام من صحافة وتلفزيون وإذاعة - أفرزت مدرسة متكاملة تعتمد على الإثارة والتشهير، مما ساعد على ارتكاب أشكال أخرى من الجريمة لم تكن معروفة بالمجتمع العربي، ولذلك أرى ضرورة تشديد الرقابة على الأجهزة المعنية بتطبيق القانون والمواجهة الحاسمة، فالكلام القانوني سواء وطالما أن دور الدولة سيتجه الآن للناحية السياسية فقط دون النظر للبعد الاجتماعي، فسوف يزداد معدل الجريمة شيئاً أم لم نشأ، وسوف تكون هناك أنماط جديدة من الجريمة.

النفس البشرية على المساحة الواعية والمعروفة بالشعور، وحينما يفقد الإنسان ضميره يسمح للمخزون المكبوت داخله بالانطلاق، هذا المخزون عبارة عن الرغبات والأحلام غير المشروعة التي يجرمها المجتمع أو يجرمها الدين، والإنسان السوي البعيد عن الآفات النفسية ينجح في قمع غير المباح في "الأ شعور" مع تحقيق موافقة نفسية وشعور بالاستقرار، وأحياناً تكون الجريمة الطريق النهائي الذي يبداه المراهقون ويستمررون فيه، ولكن الحالات الأكثر لا تزيد عن كونها مجرد فقد للتوازن وتخطب في جنبات الحيرة، لذا لابد من معاملة المراهق على أن سلوكه مسألة عابرة لن تؤثر في تكوين الرأي النهائي حول شخصيته

### مراقبة

### سلوكيات الأبناء

### .. أهم وسائل

### الردع والحماية

وإصدار الحكم النهائي، والعلاج يبدأ باحتواء عنقه وعدم مقابلة ثورة المراهق بمثلها، وتجنب القمع خوفاً من التمرد والابتعاد عن أرقام المراهق على تنفيذ الأوامر، لأن ذلك يترك أثراً سلباً في نفسه، كما أن التمرد والمزاج العصبي من السمات العامة للمراهقة التي سرعان ما تزول بتخطي هذه المرحلة.

### مرحلة جريئة

ويقول د/ خضير خليفة - أستاذ علم الاجتماع:

- فترة المراهقة معروفة بانها مرحلة الطيش، والجرأة على اتیان كل ماهو غريب، لأن الأبناء تلك في سعي دائم للاستقلال ومحاولة إثبات الذات خاصة إذا كان المراهق يواجه بسخرية دائمة داخل الأسرة من اهتماماته أو أسلوب شخصيته، ويزداد الأمر سوءاً إذا عقدت المقارنات بينه وبين أقرانه ممن يتفوقون عليه دراسياً مثلاً، وادراكه واندفاعه وراء مشاعره وعنفوانه، بصور له طريق الجريمة كأنه طريق جميل يحقق التميز والافراد وهو متأثر في المقام الأول بما يراه في التلفزيون ويقراء في الروايات من إعلاء شأن البطل المنتصر وأفراد العصابات الإنكباء الذين نجحوا في الفرار بغنيمتهم بعيداً عن أيدي الشرطة ومحاولة المراهق التقليد يدفعه في ذلك انبهاره ورغبته في احتلال نفس المكانة، كما أن هذه المرحلة أهم ما يميزها الابتعاد التدريجي عن الأسرة والتقرب من رفاق الدراسة أو اللعب لأن المراهقين يرغبون في تدعيم صلاتهم بعالمهم الجديد، فنجدهم أكثر ولاءً للمجموعة والأصدقاء وتنفيذاً للقرارات الجماعية أياً كانت خطأ أم صواباً، حتى لا تندني نظرة للرفاق إليه ويعتبرونه خائناً للعهد وناقصاً للجرأة وهنا يكمن أثر رفاق السوء والأصدقاء المحرضين على الانحراف.

ويحذر د/ خضير من ابتعاد الآباء عن أبنائهم في المراهقة الحرجة ويضيف:

- بل إن التقرب ادعى كلما لوحظ انسحابهم تجاه أنفسهم أو رفاقهم وضرورة خلق مساحات للتعبير عن الذات بين الآباء وأولادهم حتى يكون هناك فرصة للتفسيح